

السيرة - رجال حول الرسول - الدرس (١٢-٥٠) : سيدنا مصعب بن عمير

لفضيلة الدكتور محمد راتب النابلسي بتاريخ: ٢٨-١٢-١٩٩٢

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

الحمد لله رب العالمين، والصلوة والسلام على سيدنا محمد الصادق الوعد الأمين، اللهم لا علم لنا إلا ما علمتنا إنك أنت العليم الحكيم، اللهم علمنا ما ينفعنا، وانفعنا بما علمتنا، وزدنا علماً، وأرنا الحق حقاً، وارزقنا اتباعه، وأرنا الباطل باطلًا، وارزقنا اجتنابه، واجعلنا من يسمعون القول فيتبعون أحسنها، وأدخلنا برحمتك في عبادك الصالحين، أخرجنا من ظلمات الجهل والوهم إلى أنوار المعرفة والعلم، ومن وحول الشهوات إلى جنات القربات .

لقتة نظر :

أيها الأخوة الأكارم، مع الدرس الثاني عشر من دروس سيرة أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم ورضي الله عنهم أجمعين، صاحبى اليوم شاب متألق أشد التألق، كان مضرب المثل في شباب قريش، إنه مصعب بن عمير. قبل أن أمضي في الحديث عن هذا الصحابي الجليل، لا بد من تعليق ضروري، لماذا ندرس سير صحابة



رسول الله؟ لأن النبي عليه الصلوة والسلام، يقول:

((إن الله اختارني، واختار لي أصحابي))

فأصحابه نماذج للبطولة، فأحدنا إذاقرأ سير صحابة رسول الله، لا بد من أن يجد في بعض الصحابة ما ينطبق عليه، فيعد هذا الصحابي إذا لهذا الأخ الكريم قدوة .

كيف أسلم مصعب بن عمير وكيف كانت حياته قبل الإسلام؟

سيدنا مصعب بن عمير، شاب من شباب مكة الذين يشار إليهم بالبنان، منحه الله وسامه ونجابة، لكن الذي كان يلفت نظر الناس إليه أناقه المترافقه، أثوابه الجميلة، رقة حاشيته، وقد تجد في شباب

اليوم من يستهويه الثوب الأنثى، والشعر المرجل، والرائحة العفقة ، والأناقة في الحديث والتعبير والحركة، هذا الصحابي يمثل هذا النموذج .

يصفه كتاب السيرة بأنه كان فتى ريان، مدللاً، منعماً، كان حديث حسان مكة، لولوة ندواتها ومجالسها .

انظروا أيها الأخوة، إلى هذا الشاب الأنثى، الناعم، الذي جاه الله ببحبوحة الحياة و بأناقة المظهر، وبحسن الطلعة، هذا الشاب سمع حديث النبي عليه الصلاة والسلام، وكيف أنه جاء بالتوحيد؟ وكيف أنه دعا الناس إلى الإسلام؟ وكيف أنه مع أصحابه الفلة الخُلُص؟ كانوا في دار الأرق بن أبي الأرق، هذا الصحابي، بداعي حب الحقيقة، بداعي رغبته الجامحة في معرفة شأن هذا النبي، توجه إلى دار الأرق بن أبي الأرق، ليلتقي النبي عليه الصلاة والسلام ويبعدوا أن هذا الشاب ينطوي على حب للحقيقة، وإيثار للحق، فما إن رأى النبي عليه الصلاة والسلام حتى تجاوحت نفسه معه، وهفا قلبه إليه، ومد النبي عليه الصلاة والسلام يده ليصافحه ، وليمصح عن صدره آثار الجاهلية، وكانت لحظة إيمان رائعة سرت في أ魂اء هذا الصحابي الجليل، وأعلن إسلامه على يد رسول الله صلى الله عليه وسلم .

التجربة القاسية التي عاشها مصعب مع أمه أثناء إسلامه :

لهذا الصحابي أم اسمها خناس بنت مالك، تتمتع هذه الأم بقوة في شخصيتها فذة، وقد تجد في كل عصر أما قوية الشخصية، يهابها أبناءها إلى درجة الخوف، يأمرن بأمرها بقوة سحرية، يخافون غضبها، يرجون رضاها، أم هذا الصحابي الجليل سيدنا مصعب بن عمير، كانت مهابة إلى حد الرهبة، قال مصعب حينما أسلم: لم يكن يخاف أحداً، ولا يخشى أحداً، ولا يحسب حساب أحد إلا أمه، كيف سيواجه أمه بإسلامه؟ .

كما هي العادة فكر في كتمان إسلامه، وبالمناسبة، فإن الإنسان أحياناً يمرُ في ظروف صعبة جداً، وفي حالات استثنائية يجد من المناسب أن يكتم إيمانه، وقد ورد في القرآن الكريم إشارة إلى ذلك:

(وقال رَجُلٌ مُؤْمِنٌ مِنْ آلِ فِرْعَوْنَ يَكْتُمُ إِيمَانَهُ)

(سورة غافر الآية: ٢٨)

في حالات صعبة جداً، وفي ظروف قاهرة، وفي فتن مستعرة، وفي حالات حرجة لا تستطيع أن تظهر، والله عز وجل ما كلف الإنسان فوق طاقته، فهذه الإشارة في القرآن الكريم، تسلية لكل من كتم إيمانه:

(وقال رَجُلٌ مُؤْمِنٌ مِنْ آلِ فِرْعَوْنَ يَكْتُمُ إِيمَانَهُ)

(سورة غافر الآية: ٢٨)

فسيدنا مصعب رأى من المناسب أن يكتم إيمانه عن أمه، فظل يتتردد على دار الأرقام بن أبي الأرقام، ويجلس إلى رسول الله عليه الصلاة والسلام، وهو قرير العين بإيمانه، لكنه تفادى غضب أمه بهذا الكتمان، هناك قاعدة: أنه لا شيء يتحقق، مهما حاولت أن تخفي شيئاً لا بد وأن يظهر .

رجل اسمه عثمان بن طلحة، أبصر به وهو يدخل خفية إلى دار الأرقام، هذا الرجل عثمان بن طلحة حينما رأه يدخل دار الأرقام، سابق الريح إلى أمه ليخبرها أن ابنك يتتردد على دار الأرقام مقر النبي عليه الصلاة والسلام، بينما واجهته أمه ما استطاع أن ينكر الحقيقة، بل قرر أن يظهرها، وقف أمام أمه وعشيرته وأشراف مكة المجتمعين حوله يتلو عليهم في يقين وثبات القرآن الذي غسل قلبه، وغدى فؤاده، وملأ جوانحه سعادة .

همت أمه أن تsktته بظلمة قاسية، ولكن اليد التي امتدت لتألمه، ما لبثت أن استرخت وترنحت أمام النور الذي زاده وسامة في وجهه، يعني لا أدرى ماذا أقول لكم؟ المؤمن أحياًنا يهبه الله هيبة، ورقة، ووضاءة، وجمالاً، بحيث إن الذي يريد أن يناله بالأذى يجده في مكانه .



التجربة القاسية التي مر بها سيدنا مصعب

ذات مرة وقف الحسن البصري رحمة الله تعالى، موقفاً فيه جرأة بالغة جداً، بلغ الحاج موقنه وانتقاده، فأمر السياف أن يقطع رقبته، ومدد النطع في مجلس الحاج، والنطع عبارة عن جلد إذا قطع رأس هذا الرجل، لنلا تصل الدماء إلى الأثاث الفخم والطنافس والأرائك، فيمد جلد كبير جداً، يقف هذا

الذي يراد أن يقطع رأسه في وسطه

وتضرب عنقه، فإذا نفر الدم أصاب هذا النطع، وطلب الحسن كي تقطع رقبته، فلما دخل الحسن البصري على الحاج، تمت بشفتيه ولم يسمع أحد، ماذا قال؟ لكنه فيما يبدو طلب من الله عز وجل أن يحميه من بطش هذا الرجل، وما إن دخل ووجهه يتلألأ نوراً، حتى وقف له الحاج ودعاه إلى أن يجلس جنبه، وسألـه الدعاء وآنسـه وطيب قلـبه واحترـمه أشد الاحترـام وضـيفـه، ثم ودـعـه فالـسيـاف وقف مذهولاً، لا يدرـي ماذا يـقولـ؟ إذاـ: فـلـمـاـ جـئـمـ بـيـ إـلـىـ هـنـاـ؟ .

فالـمؤـمنـ لهـ هـيـبةـ أـيـهاـ الـأـخـوـةـ، إـذـاـ كـنـتـ معـ اللهـ لـاـكـتـسـبـ هـيـبةـ لـاـ يـعـلـمـهـ إـلـاـ اللهـ، مـنـ هـابـ اللهـ هـابـ كلـ شيءـ، المـؤـمنـ لهـ هـيـبةـ، لـهـ شـخـصـيـةـ قـوـيـةـ لـيـسـتـ مـنـ صـنـعـهـ، وـلـكـ منـ تـفـضـلـ اللهـ عـلـيـهـ .

لكـنـهاـ ماـ لـبـثـتـ أـخـذـتـ بـعـدـ أـنـ تـلـاـ عـلـىـ قـوـمـهـ الـقـرـآنـ، لـتـحـبـسـهـ فـيـ غـرـفـةـ قـصـيـةـ مـنـ غـرـفـ الـبـيـتـ، وـكـانـهاـ بـسـذـاجـةـ إـذـاـ حـبـسـتـهـ كـفـ عـنـ مـاتـبـعـةـ النـبـيـ الـكـرـيمـ، وـعـنـ زـيـارـتـهـ، وـلـكـ كـانـ حـبـسـهـ لـهـ بلا جـدـوىـ .

مصعب حقاً من هاجر إلى الله ورسوله هذا ما شهد له رسول الله :

بلغ سيدنا مصعباً أن النبي عليه الصلاة والسلام أمر أصحابه أن يهاجروا إلى الحبشة ، بطريقة أو بأخرى، فانسل من غرفته القصبة التي حبسته أمه بها، ولحق بالفالة، وهاجر مع من هاجر إلى الحبشة، وبعد أن أقام هناك رحماً من الزمن، عاد والتحق بالنبي عليه الصلاة والسلام .

فخرج يوماً على بعض المسلمين وهم جلوس حول رسول الله صلى الله عليه وسلم، فما إن بصروا به، حتى حنوا رؤوسهم، وغضوا أبصارهم، وذرفت بعض عيونهم دمعاً شجياً، ذلك أنهم رأوه يرتدي جلباباً مرقعاً باليأ، وعاوذتهم صورته الأولى قبل إسلامه، حيث كانت ثيابه كزهور الحديقة نضرة وعطرة، تملّى النبي الكريم به جيداً، تملّى مشهده بنظرات حكمة شاكرة، محبة، وتلقت على شفتيه ابتسامة جليلة، وقال:

((القد رأيت مصعباً هذا، وما بمكة فتى أنعم عند أبيويه منه، ثم ترك ذلك كله حباً لله ورسوله))

إذا كان الإنسان ذا دخل محدود، وبإمكانه أن يحصل على أموال طائلة بطريق غير مشروع، فاختار طاعة الله، ودخله المحدود جعله يرتدي ثياباً من الدرجة الخامسة، وبيته متواضع، وأكله خشن، فأنا أرى أن هذا وسام شرف، كله زائل أيها الأخوة، يعني إذا أنت آثرت الحق، آثرت أن تستقيم على أمر الله، آثرت أن ترضي الله عز وجل، آثرت إلا تأكل حراماً، آثرت أن تأكل من كد يدك، وعرق جبينك، آثرت إلا تأكل مالاً ليس لك، هذا الدخل الشرعي الحال الطيب القليل، لكن هذا الدخل القليل جعلك تسكن بيتكاً صغيراً، وأن تأكل طعاماً خشناً، وأن ترتدي ثياباً من الدرجة الخامسة، فهل تستحيي مما أنت عليه؟ إن كنت تستحيي مما أنت فيه، فأنت لا تعرف الله .

أخ كريم محام، قال لي: يا أستاذ، جاءني رجل عرض علي قضية لأكون وكيله فيها، وهذه القضية مشمولة بقانون العفو فكنت صادقاً معه، قلت له: يا فلان، قضيتك لا تحتاج إلى محام، تقدم بطلب إلى المحكمة الفلانية، وسيصدر حكم فوري بإعفائك من هذه الجنة لأن قانون العفو يشملك، لكنه لم يقنع فذهب إلى محام آخر بث في روعه أن القضية خطيرة جداً، ويجوز أن يسجن فيها عشر سنوات، حتى ابتز منه عشرين ألفاً، ولم يكتفي بهذا بل اتهمني أنني لا أفقه شيئاً بالمحاماة، وقال عنـي: هذا أجبـ، ما عنـه فهمـ، فـكانـ هذاـ المحـاميـ متـالـماـ لـماـ اـتـهـ بـهـ، أـمـاـ فـوـ اللهـ أـيـهاـ الأخـوةـ، حينـماـ قـالـ لـيـ هـذـاـ الـكـلامـ، رـأـيـتـهـ إـنـسانـاـ كـبـيرـاـ فـيـ نـظـرـيـ قـلـتـ لـهـ: وـالـلـهـ كـلـامـ النـاسـ عـنـكـ بـأـنـكـ محـامـ مـبـتـدـئـ أـوـ سـاذـجـ، وـالـلـهـ هـذـاـ وـسـامـ شـرـفـ عـنـ اللهـ عـزـ وـجـلـ، هـذـاـ هـوـ الـمـؤـمـنـ، وـهـكـذـاـ يـجـبـ أـنـ يكونـ .

أنا أتمنى على أخواننا الكرام أن يتحلوا بالاستقامة، فالإنسان عندما يستقيم فقد تكون عنده إمكانيات كبيرة، ولكن إذا استقام وأرضى الله عز وجل فهو ملك في الدار الآخرة .

فمصعب بن عمير، من أسرة غنية جداً، ولو بقي على دين آبائه لعاش حياة ناعمة جداً، لكن لأنه أسلم والتحق بالنبي عليه الصلاة والسلام، وكان أصحاب



تحل بالاستقامة

النبي رضوان الله عليهم فقراء ضعفاء:

(وَمَا تُرَأَكَ اتَّبَعَكَ إِلَى الَّذِينَ هُمْ أَرَادُوكُمْ)

(سورة هود الآية: ٢٧)

أي فقراء وهذا شأن كل النبي، كبراء القوم، أصحاب الغنى، هؤلاء غارقون في شهواتهم، أصحاب القوة غارقون في وجاهم، لكن الضعاف يتبعونه، هؤلاء الضعاف سيفنهم الله عز وجل، وهذه الكلمة قالها النبي الكريم لعدي بن حاتم، لا أنساها ما حييت، قال له:

((العلك يا عدي، إنما يمنعك من دخول في هذا الدين ما ترى من حاجتهم، من فقرهم، وائم الله ليوش肯 المال أن يفيض فيهم حتى لا يوجد من يأخذه، ولعله إنما يمنعك من دخول في هذا الدين ما ترى من كثرة عدوهم، فوالله ليوشكن أن تسمع بالمرأة البابلية تحج البيت على بغيرها لا تخاف، ولعله إنما يمنعك من دخول في هذا الدين أنك ترى أن الملك والسلطان في غيرهم، فوالله ليوشكن أن تسمع بالقصور البابلية مفتحة لل المسلمين))

فالبطولة أن تكون مع الحق، ول يكن ما يكون، البطولة أن تكون على منهج الله عز وجل غنياً كنت أو فقيراً، فالنبي الكريم قال عن هذا الصاحبي:

((القد رأيت مصعباً هذا وما بمكة فتى أنعم عند أبيه منه، ثم ترك ذلك كله حباً لله ورسوله))

إذا كنت مستقيماً، وحياتك متواضعة فافتخر واز هو، قال تعالى:

(وَمَنْ يُطِعَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ فَازَ فَوْزاً عَظِيمًا)

(سورة الأحزاب الآية: ٧١)

(وَالْعَاقِبَةُ لِلْمُتَّقِينَ)

(سورة الأعراف الآية: ١٢٨)

آيات كثيرة، تبشر المستقيمين على أمر الله بالفوز في الدنيا والآخرة .

فشل أم مصعب في تحقيق رغبتها في أن يرجع ابنتها عن الإسلام :

أيها الأخوة، حاولت أمه مرة ثانية أن تحبسه ولكنه أصر، وقال: ((والله لأقتلن كل من تستعين به أمي على حبسني، علمت أنه صادق وأنه يعني ما يقول، فكفت عنه))

فلما جرى نقاش بينه وبينها، قال لها: ((يا أمي، إني لك ناصح، وعليك شفاعة، فاشهدني أنه لا إله إلا الله، وأن محمداً عبده ورسوله، أجابته غاضبة مهتاجة: قسماً بالثواب لا أدخل في دينك، فيزري برأيي ويضعف عقلي)) والله هذه عقلها ضعيف، ولو أن عقلها كان راجحاً لآمنت بالنبي عليه الصلاة والسلام، قال عليه الصلاة والسلام:

((أرجوكم عقلاً أشدكم الله حباً))

حينما أسلم وأصر على إسلامه، وترك دين آبائه، حرمه أهله من كل شيء، يقول كتاب السيرة: خرج مصعب من النعمة الوارفة التي كان يعيش فيها مؤثراً الشظف والفاقة، وأصبح الفتى المتألق المعطر لا يرى إلا مرتبها أحسن الثياب.



لحكمه، جعل الله الحلال صعباً

أنا أعرف فتاة مؤمنة تتنمي إلى أسرة غنية جداً، لكنها اصطدلت مع الله وأنابت إليه، فحينما أنابت إلى الله عز وجل ما بقي أحد من الشباب الأغنياء الذين يعرفونها قبل توبتها يرغبون بها، خطبها رجل فقير دخله محدود، فقلبت، وانتقلت من بيت واسع جداً إلى بيت صغير، ومن طعام نفيس، إلى طعام خشن، ومن ثياب أنيقة إلى ثياب

متوسطة معتدلة، وقالت بملء فيها: أنا سعيدة بمعرفة الله، وسعيدة بهذا الزوج، وأنا أرضي أن أتخلى عن كل دنياي من أجل طاعة الله عز وجل، وهذه الأخبار عن مصعب تعني أن هذا الصحابي الجليل نموذج لكل شاب ينتمي إلى أسرة غنية .

مرة ثانية لأنك مستقيم فدخلك محدود، والله عز وجل لحكمة أرادها جعل الحرام سهلاً ، وجعل الحلال صعباً، الحرام سهل، يعني امرأة تشتعل أحياناً ثمانية ساعات تأخذ مئة وخمسين ليرة في خدمة شاقة في البيوت، وامرأة تتبع ما وهبها الله من جمالٍ تتبعه بمبالغ طائلة لوقت قصير، وهذه

امرأة وهذه امرأة، ولكن أين الثرى من الثريا؟ والإنسان حينما يخلص الله عز وجل يستخدمه في الحق .

إليكم هذا السر الذي حدث في المدينة :

سيدنا رسول الله عليه الصلاة والسلام كان في أصحابه من هو أكبر من مصعب سنًا، وأعلى شأنًا، وأكثر جاهًا، وأقرب إلى النبي نسبياً، لكن عليه الصلاة والسلام ندب ليكون خليفة له في المدينة قبل أن يهاجر إليها .

هناك بالسيرة أمرٌ أقف أمامه محترأً، أنه حينما هاجر النبي إلى المدينة، كيف أن أهلها خرجوا عن بكرة أبيهم يستقبلونه، ويعظمونه، ويصدقونه، ويحبونه، وهم لم يلتقوها بها من قبل، فهل عرفتم ما السر؟ السر أن هذا الصحابي الجليل الذي أرسله النبي إلى المدينة قبل أن يهاجر إليها جعل الله هداية كبيرة لكار أصحابه من الأنصار على يديه .

هذا الشيء نقلني إلى فكرة، فأحياناً ترى الجامع مليء، فهل تعرف الفضل لمن يعود؟ لبعض الأخوة النشطين الذين يندفعون لنشر الحق، يُقنع جاره، ويُقنع أخيه، يُقنع ابنه، يُقنع أبوه، يُقنع زميله في العمل، يعني يدعوه إلى المسجد، يدخله على الله، يسمعه بعض الأشرطة، ينافشه، يخدمه، فغص الجامع وأمتلأ، هذا الجامع أساسه أخي نشيط بذلك كل شيء، حتى أقنع الناس بالحق، وحتى أقنعهم بالهدى، وحتى حملهم على التوبة .

المدينة عن بكرة أبيها تخرج لاستقبال النبي و لم يلتقوها به من قبل، ولم يسمعوا كلامه، من الذي جلس بينهم، ودعاهم إلى الهدى، وقرأ عليهم القرآن، وحدثهم عن النبي عليه الصلاة والسلام، بين لهم شمائله الشريف، عرفهم بربهم، بين كمال الله عز وجل بأسمائه الحسنى، وصفاته الفضلى، من هذا الذي كان يعمل ليلاً ونهاراً؟ سيدنا مصعب .

يعني ماذا أقول إن صح التعبير؟ إن الأنصار كلهم في صحيقته، تضيق عليك دنياك ويقل دخلك، لكن الله عز وجل يعطيك أضعاف مضاعفة عطاً لا ينتهي بالموت، يبدأ بعد الموت .

فإن الإنسان لا يقيس نفسه ويقيس الآخرين
بالمأمور المادية، هذا قياس فاسد، رب
أشعرت أغبر، ذي طمرين، مدفوع
بالأبواب، لو أقسم على الله لأبره، لا
تقس نفسك بمساحة بيتك، ولا بمستوى
بيتك، ولا بدخلك، ولا بمركتك، قس



نفسك بطاعتكم الله، واجعل قوله تعالى نصب عينيك:

(إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ اللَّهِ أَتْقَانُمْ)

(سورة الحجات الآية: ١٣)

صحيح أن هذا الصحابي، فقد الثوب الجميل، والراحة العطرة، لكنه صار من الخالدين في دنيا الناس، وعند الله تعالى، والإنسان ما له حق في أن يفتخرون بدنياه أيها الأخوة، فإذا افتخرون بدنياه أفسد حياة الناس وصرفهم عن الآخرة، أما إذا حدثهم عن الله عز وجل فقد قربهم إلى الله، وأصلح عليهم دنياهم .

أسيد بن حضير من أسلم على يد مصعب :

عندنا قصة يبدو أن فيها حكمة، فهذا الصحابي الجليل قال ذات يوم وهو يعظ الناس، وقد فاجأه أسيد بن حضير، سيدبني عبد الأشهل بالمدينة، وكان يدرس وحوله هؤلاء الذين أحبوا الإسلام، وانشرحت صدورهم له، فاجأه أسيد بن حضير شاهراً حربته يتوجه غضباً على هذا الذي جاء يفتتن قومه عن دينهم، وقال له: ما جاء بكم إلى حيناً؟ هو وأسعد بن زرار، وهما أخوان في الإسلام كريمان، تسفيهان ضفاعنا اعتزلانا إذا كنتم لا تريدان الخروج من المدينة، والإنسان إذا وقف الموقف اللين، والموقف الحكيم، فهو عاقل رشيد، وهذا من نعمة الله عز وجل أن موقفاً ليناً فيه حكمة، فقال له مصعب بلسان طيب: أولاً تجلس فتسمع فإن رضيت أمرنا قبلته، وإن كرهته كفينا عنك ما تكره، فقال أسيد بن حضير وكان رجلاً عاقلاً: والله أنت أصفت، ما أحسن هذا القول وأصدقه، فجلس وكان مصعب يتلو عليه القرآن فاستمع إلى القرآن، ودخل إلى قلبه، وشرح الله صدره، فقال أسيد: ما أحسن هذا القول وأصدقه! كيف يصنع من يريد أن يدخل في هذا الدين؟ فأرشدوه إلى ذلك.

سيدنا عمير بن وهب، مرة قال:

((والله لو لا أولاد صغار أخاف عليهم العنت، ولو لا ديون ربتي، لذهبت وقتلت محمداً وأرجعتم منه، فرجل اسمه صفوان كان قاعداً، قال له: ديونك على بلغت ما بلغت، وأولادك أولادي مهما امتد بهم العمر، اذهب لما أردت، فعمير من فوره سم سيفه وذهب، ولما وصل للمدينة، رآه سيدنا عمر، فقال: هذا عدو الله ساقه إلى رسول الله، هذا عمير بن وهب عدو لدود، ابنه قتل في بدر، قال له سيدنا النبي: ما الذي جاء بك إلينا؟ قال: جنت أفك ابني، قال له: وهذا السيف الذي على عاتقك، قال له: قاتلها الله من سيفك، فقال له النبي: ألم تقل لصفوان كذا وكذا فوقف، وقال: أشهد أنك رسول الله، لأن الذي قلته لصفوان لا يعلمه إلا الله، وأنت رسوله))
فدخل عدواً لدوداً ينوي القتل وخرج مسلماً، يعني الصلحة مع الله تتم بلمحات أحياناً .

أسلم أسبد بن حضير ، فلما يسلم الكبار ، فالصغرى يتبعونهم ، فسيدنا مصعب وفقه الله في دعوته ، فلانت قلوب كبراء المدينة ، فلما لانت قلوبهم وأسلموا معه ، ودخلوا في هذا الدين العظيم ، كل أتباعهم تبعوهم .

قصة استشهاده :

كلكم يعلم أن هذا الصحابي الجليل خاض معركة أحد ، وحمل لواء من الولية أججتها ، وكلكم يعلم أنه لما جال المسلمين ، واشتبكوا مع عدوهم ، ثبت مصعب فأقبل ابن قميئه وهو فارس فضربه على يده اليمنى فقطعها ، ومصعب يقول:

(وَمَا مُحَمَّدٌ إِلَّا رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلِهِ الرُّسُلُ)

(سورة آل عمران الآية: ١٤٤)

وأخذ اللواء بيده اليسرى فضرب بيده اليسرى فقطعها ، وحنا على اللواء وضمه بعضاً إلى صدره ، وهو يقول:

(وَمَا مُحَمَّدٌ إِلَّا رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلِهِ الرُّسُلُ)

(سورة آل عمران الآية: ١٤٤)

ثم حمل عليه الثالثة بالرمح فأنفذه ، واندق الرمح ، ووقع مصعب ، وسقط اللواء ، ووقع شهيداً بل كان كوكباً بين الشهداء .

الشيء الذي يدمي القلب أن هذا الصحابي قال عنه بعض أصحاب رسول الله: هاجرنا مع رسول الله عليه الصلاة والسلام في سبيل الله نبغي وجه الله، فوقع أجرنا على الله ، فمنا من مضى ولم يأكل من أجره في دنياه شيئاً، إذا إنسان أحب الله عز وجل واختاره إلى جواره، فهل ضاع عليه شيء؟ لا، قال تعالى:

(وَلَا تَحْسِنَ النِّذِينَ فَتَلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ أَمْوَاتًا بَلْ أَحْيَاءً عِنْدَ رَبِّهِمْ يُرْزَقُونَ)

(سورة آل عمران الآية: ١٦٩)

والإنسان عندما يخلص الله عز وجل ، ويتوكى على الله عز وجل فقد ربح رب الكعبة ، وهذا الصحابي الجليل حياته كلها دعوة إلى الله ، حياته كلها جهاد ، ثم مات شهيداً ، فقد فاز ورب البيت .

انظروا إلى هذا المشهد أليس مبكياً ؟

يقول عنه خباب بن الأرت:

((هاجرنا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم في سبيل الله نبغي وجه الله، فوقع أجرنا على الله ، فمنا من مضى ولم يأكل من أجره في دنياه شيئاً))

سيدنا عمر، مرة قدم له طعام طيب، فنكمى، لماذا بكمى؟ تذكر أصحاب النبي الذين ماتوا قبل أن يفتح الله الدنيا على المسلمين ثم جاءتهم الدنيا بعد ذلك راغمة، لكن الصحابة الكرام الذين ماتوا قبل أن تفتح عليهم الدنيا هؤلاء لهم عند الله أجر مضاعف، فالإنسان يستسلم لله عز وجل، هو الرحمن الرحيم، الآية التي تؤثر بالنفس:

(وَلَئِنْ مُتُّمْ أُوْفِيَتْ لِلَّهِ ثُحْشُرُونَ)

(سورة آل عمران الآية: ١٥٨)

(وَرَحْمَةً رَبَّكَ خَيْرٌ مِمَّا يَجْمَعُونَ)

(سورة الزخرف الآية: ٣٢)

والإنسان دائمًا يبحث عن رزقه، ثم يبلغ درجة من الكفاية وال الحاجة، ويبقى همه الجمع، لكن الله تعالى يقول:

(وَرَحْمَةً رَبَّكَ خَيْرٌ مِمَّا يَجْمَعُونَ)

(سورة الزخرف الآية: ٣٢)

هذا سيدنا مصعب قتل يوم أحد، ولم يجدوا له شيئاً ليكتف به إلا نمرة، يعني رداء خشن ، فكنا إذا وضعناها على رأسه، تعرّت رجله، وإذا وضعناها على رجله برزت رأسه، فقال عليه الصلاة والسلام:

((اجعلوها مما يلي رأسه، واجعلوا على رجليه من نبات الإذخر، ضعوا قليلاً من حشيش على رجليه، وارفعوا الثوب إلى رأسه))

هذا سيدنا مصعب بن عمير الذي كان من أرفه، ومن أنعم، ومن أكثر فتیان قريش أناقة، ونعومة، ورخاءً، وغنيًّا، باع دنياه في سبيل الله عز وجل، وإذا اختار الإنسان عملاً نظيفاً، عملاً شريفاً، وعاش حياة مع الله وادعة مطمئنة، فهذا وسام شرف له، افرح بالدخل الحلال، إن كان كثيراً فالحمد لله، هذا من نعم الله عز وجل، لكن إن كان قليلاً وهو حلال، فهذا أفضل من كثير لا يرضي الله عز وجل، حتى إن النبي عليه الصلاة والسلام، قال مرة لشعبة: يا ثعلبة، قليل تؤدي شكره، خير من كثير لا تؤدي شكره .

وقف النبي عليه الصلاة والسلام عند مصعب بن عمير، وعيناه تذرفان بالدموع، وقال:
(مِنَ الْمُؤْمِنِينَ رجَالٌ صَدَقُوا مَا عَاهَدُوا اللَّهَ عَلَيْهِ فَمِنْهُمْ مَنْ قَضَى نَحْبَهُ وَمِنْهُمْ مَنْ يَنْتَظِرُ وَمَا
بَدَّلُوا ثَبْدِيلًا)

(سورة الأحزاب الآية: ٢٣)

ومنذ مدة قرأت نعوة ضخمة مكتوب فيها:

(مِنَ الْمُؤْمِنِينَ رجَالٌ صَدَقُوا مَا عَاهَدُوا اللَّهَ عَلَيْهِ فَمِنْهُمْ مَنْ قَضَى نَحْبَهُ وَمِنْهُمْ مَنْ يَنْتَظِرُ وَمَا
بَدَّلُوا ثَبْدِيلًا)

(سورة الأحزاب الآية: ٢٣)

فممكن لكل من أراد أن يضع في النعوة هذه الآية أن يفعل، ولكن المهم العبرة، وحسن الخاتمة، فهذه الآية تلها النبي الكريم عندما وقف على جثمان مصعب:

(من المؤمنين رجال صدقوا ما عاهدوا الله عليه فمنهم من قضى نحبه ومنهم من ينتظر وما بدلوا ثبديلاً)

(سورة الأحزاب الآية: ٢٣)

ثم ألقى في أسى نظرة على بردته التي كفن بها، وقال:

((يا مصعب، لقد رأيتك بمكة، وما بها أرق حلة، ولا أحسن لمة منك، ثم ها أنت شعث الرأس في بردة، عندئذ قال عليه الصلاة والسلام: إن رسول الله يشهد أنكم الشهداء عند الله يوم القيمة)) وهناك صحابي لما أسلم ثم خاض مع رسول الله معركة وائلة نجاه، وزوّر العنائم، قال: ((ما هذا؟ قالوا: هذه غنيمة لك، قال: والله ما على هذا أسلمت، أنا أسلمت على الذبح))

أنا أسلمت على أساس أن أقدم حياتي في سبيل الله،

((وفي المعركة الثانية، وجد مقتولاً، فالنبي الكريم، قال: أهو؟ قالوا: هو هو، فبكى النبي عليه الصلاة والسلام، وقال: اللهم إنيأشهد أن هذا قاتل في سبيلك))

إذا استقمنا، وقرأنا القرآن، وفهمنا القرآن، وخدمنا من حولنا، وكنا أبراراً بوالدينا، ونصحنا المسلمين في بياعنا وشرائنا، وما كذبنا و ما غشتنا، إذا فعلت هذا في عصر الفتن، وعصر الضلالات، وعصر الشبهات، وفي عصر فيه القابض على دينه كالقابض على جمر فلك أجر عظيم.



النبي الكريم، قال: ((اشتقت لأحبابي، قالوا: أو لسنا أحبابك، قال: لا، أنتم أصحابي، أحبابي أناس يأتون في آخر الزمان، القابض منهم على دينه كالقابض على جمر، أجره كأجر سبعين، قالوا: منا أم منهم، قال: بل منكم، قالوا: ولم؟ قال: لأنكم تجدون على الخير معواناً ولا يجدون))

المسلم المؤمن غريب، يعني أن أقرب

الناس إليه يستنكر استقامته، يستنكر إذا أراد إلا يخالط مع الناس، ترى إنساناً أهله يوصفون بأنهم محافظون، فهو لاء الدين زعموا أنهم محافظون يريدون اختلاط للجنسين، ويريدون أن يسفر وجه المرأة، ويحتالون ليجدوا إلى التفات من أمر الله عز وجل سبيلاً يسلكه .

فالشيء الذي يبرز في حياة هذا الصحابي الجليل، أنه كان من أسرة غنية، فلما أصر على إسلامه وإيمانه، فقد كل ما يمكن أن يناله من والديه، فعاش فقيراً، ونذر نفسه لهذا الدين العظيم، فاختاره الله ليكون خليفة النبي في المدينة .

لذلك يمكن أن نذكر ثانية أن أكثر الأنصار كانوا في صحيفته، هذا عمل عظيم، والنبي الكريم كان إذا أراد أن يصل إلى أزاحت السيدة عائشة رجليها لأن غرفته لا تتسع لصلاته ونومها، والآن اذهب إلى مقامه الشريف يطالعك أضخم مسجد في العالم .

لقد حجت قبل ثلاثة أعوام فكان المقام الذي كان في العهد العثماني تقريباً في عرض مسجداً هنا، وإلى نصفه، هذا المسجد النبوي الذي وسعه العثمانيون، يعني أضافوا إليه إضافة، ثم وسعه السعوديون توسيعة تعدل عشرة أمثال ما كان عليه تقريباً، يعني صار البناء على العرض نفسه ممتداً إلى الشمال وفيه فسحةان سماويتان، في العام الماضي حينما حجت أية مساحة هذه؟ أكثر من عشرة أمثال المساحة السابقة فهو مدينة كاملة، والإنسان أحب أن يطوف حوله فالمسافة تقريباً خمسة كيلومترات، يعني كان الحج بأيام حارة جداً، وسمعت أنه مكيفاً، وبعد أعظم تكيف في العالم، والأجهزة على بعد سبعة كيلومترات، ومساحتها مائتان وسبعون ألف متر مربع تكون درجة الحرارة خارج الحرم ستة وأربعين درجة، أو اثنين وخمسين، كأنما تلحف وجوههم النار، بينما هي بالحرم ثمانية عشرة درجة أو نحوها .

النبي عاش حياة خشنة، لكن عرف المسلمين قيمته وقدره، كل هذا الاعتناء دليل مقامه العظيم عند الله عز وجل، الدنيا تضر، حاول أن تكون على أمر الله، وأن تكون مستقيماً و أن تكون ملتزماً، فهذا الصحابي الجليل قدوة لنا، لا يخضك عند الله دخلك القليل، ولكن يخضك معاصيك .

لذلك مصعب هذا قدوة لكل شاب عاش بأسرة مرفهة، ناعمة، فلما أصر على إيمانه وإسلامه، والناس تخلوا عنه، عاش حياة خشنة، ومن كان كذلك فله بهذا الصحابي الجليل، أسوة حسنة .

والحمد لله رب العالمين